اسم الدرس : وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ | متى يتكلم المنافقون؟

تصنيف الدرس : درس

متى يظهر المنافقون؟ متى يصبحون رأي العين؟

لأن النفاق بطبيعته مخفيٌّ،

والنفاق أصلًا من ماذا اشتُقَّ؟

كلمة (النفاق) ما مصدرها؟

كما قال بعض أهل اللغة: من حيوان اسمه اليربوع،

له نفق.. نفقاء اليربوع،

النفق له فتحتان: أحدهما يخرج منه والآخر مغطى بالتراب، فمن يمرّ بجانبه لا يدرك أنه جُحر؛ إذا أراد أحد ما إمساكه يدخل في النفق من جهة ويخرج من الجهة الأخرى التي كان قد سدّها بالتراب..

فالمنافق يعيش في الظلام، المنافق يعيش تحت الأرض، المنافق يحافظ على خفائه.

فنحن سنتحدث متى ينعكس هذا الأمر؟ متى يتبيَّن المنافق للمؤمن؟

مثلما قلنا، القضية ليست انشغالًا بتعيين الذوات، إنما هي التعريف بأوصاف معينة لأنها تتكرر.

بعد الانتقال لمدينة النبي صلى الله عليه وسلم، نزلت آيات من أول سورة البقرة تُوضِّح مواقف الناس إزاء هداية القرآن: " ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) "

فالناس –تجاه هذا الهدى– انقسموا إلى أصناف:

- ناس أهل هداية اهتدوا بهذا القرآن وتفكروا فيه فكان منهم أهل تفكُّر،
- وكان منهم أهل تجبُّر (الإعراض)،

- وكان منهم أهل تحيُّر (النفاق). لذلك النبي صلى الله عليه وسلم في وصف المنافقين قال: (مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً. وفي رواية: تَكِرُّ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً)[1]

يقول الله عز وجل في بداية سورة البقرة: " ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)

" ويصف المتقين الذين... والذين... بعدة أوصاف معروفة،

ثم انتقل إلى وصف الكافرين بأوصاف معروفة: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ "،

ثم قال: " وَمِنَ النَّاسِ" أي: مختبئون وسط الناس، ليسوا منفصلين، غير متمايزين.

أهل الإيمان منفصلون ومتمايزون، لهم طريقة في الكلام، منهج في العقيدة وفي الحياة،

وكذلك الكفار منفصلون ومتمايزون.

لكن لما جاء الكلام عن المنافقين ماذا قال سبحانه؟ " وَمِنَ النَّاسِ" وسطهم، كما قال الله عز وجل: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ" أي: منغمسون،

وهذه هي أكبر وأخطر إشكالية في النفاق (عدم الظهور).

النفاق مرض، لكن ماذا عن الكفر؟ الكفر بالله –والعياذ بالله– أيضًا أمر خطير جدًا، والاثنان في النار –المنافق نفاقًا أكبر مع الكافر كلاهما في النار–

لماذا نقول أن النفاق أخطر بالرغم من أن كلا الأمرين ضلال وفجور وفسق وفي النار؟

- لماذا النفاق أخطر؟
- لعدم الوضوح.

لذلك نريد أن نتكلم اليوم متى يظهر؟ وهذه هي النقطة التي ينتظرها المؤمن،

## متى يظهر المنافق؟

[1] رواه مسلم.

بدايةً؛ كما قلت، أول ظهور للنفاق كان في المدينة. وأغلب السور التي تكلّمت عن النفاق –إن لم تكن كل السور التي ذكر فيها لفظ النفاق– هي سور مدنية.. أغلب السور التي تكلمت عن النفاق هي: سورة البقرة، النساء، المائدة، التوبة، النور، الأحزاب، المنافقون؛ هذه السور التي ذكرتها الآن هي أغلب وأعظم السور التي تكلمت عن أوصاف النفاق، وتوجد بعض الإشارات في سورة الفتح، وسورة محمد صلى الله عليه وسلم.

سورة واحدة ذُكِر فيها النفاق بالرغم من كونها سورة مكية.. هل يعرف أحدكم اسم السورة؟ "ولَيعلمنَّ اللهُ الذين آمنوا ولَيعلمنَّ المنافقين" سورة العنكبوت. بالرغم من أنها سورة مكية وهي من آخر ما أُنزِل –على أحد الأقوال– في واقع مكة لكن ورد فيها لفظ "المنافقين".

توجد تحليلات لسبب ورود اللفظ هنا، وكأنَّ هناك إشارة على أن النفاق –وهذه نقطة مهمة وخطيرة جدا– غالبا لا يكون قرارًا، بمعنى لا يُتَّخذ على شكل قرار كأن يقول أحدهم: أنا قررت أن أكون منافقًا! والعياذ بالله، كلا؛

=إنما يبدأ في الابتعاد شيئًا فشيئًا عن أهل الإيمان حتى يفاجأ أنه أصبح منافقًا، بل من الممكن أن يعيش منافقًا وهو لا يعلم ذلك.

النفاق ليس قضية حادة ومنفصلة، ما معنى هذا؟

على سبيل المثال:

إذا كان الإيمان يمينًا –هنا على اليمين– والكفر يسارًا –هنا على الشمال–

وهناك منطقة تملأ ما بينهما هذه تمثل النفاق.

لذلك قال الله عز وجل عن المنافقين: "هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ"

كلمة "أقرب" هذه تعني أن هناك مسافة الإنسان ينتقّل خلالها..

فكما أن الإيمان شعب، والكفر شعب؛

"إنما إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ" أي أن هناك كفرًا وهناك زيادة في الكفر،

" الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ " [النحل]

إذًا يوجد كفر وتوجد زيادة في الكفر؛

كذلك النفاق شُعب،

مجموعة من الأخلاق إذا عاش الإنسان عليها سيظلُّ يبتعد تدريجيًا.

- يكون مؤمنًا فيكذب،
- ويخلف الوعد،
- وإذا خاصم فَجَر،

فيبدأ بالابتعاد؛ ما هذا الذي يفعله؟!

يتخلَّق بأخلاق النفاق الأصغر، فيرتكب الفواحش ويبتعد عن بيئة الإيمان، ولا يصلي في جماعة، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: (مَن ترَكَ ثلاثَ جُمعٍ ، تَهاونًا بِها طبعَ اللَّهُ علَى قلبِه)[٢] فمن يترك صلاة الجمعة عامدًا بدون عذر ثلاث جمع متتابعة يطبع الله على قلبه. وهذا الأمر يحتاج إلى درس آخر لنشرح كيف يبتعد المنافق.. فيبدأ بالابتعاد دون أن يشعر، دون أن يَتَّخذ قرارًا بأن يصير منافقًا.

ثم هو يستمر في ضلاله، وتَعرض له ابتلاءات وأحكام يرفضها فيبتعد أكثر، ويتكلم بأقوال لا تصح فيقترب من الكفر، إذًا يظل يتحرك في حدود هذه المنطقة (بين الكفر والإيمان).

وأيضًا وردت أوصاف أخرى غير النفاق، ذُكر وصف الذي في قلبه مرض؛ وردت " فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ " في أول سورة البقرة،

وفي قول الله في وصف المنافقين: " وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ " [الأحزاب]

المفسرون اختلفوا في العطف هنا،

- هل الذي في قلبه مرض صنف آخر غير المنافق؟

[٢] الراوي : أبو الجعد الضمري | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي
الصفحة أو الرقم: ١٣٦٨ | خلاصة حكم المحدث : حسن صحيح

- أم أنه منافق في بداياته ثم يزيد نفاقه ليصير منافقًا خالصًا،
- أو يتوب فيرجع للإيمان؟

النفاق ليس موقفًا حادًّا، من الممكن أن يستمر المنافق في التغير، وتقابله اختبارات وابتلاءات تجعله

- ينتقل إما إلى صف الإيمان
- وإما إلى صف الكفر والعياذ بالله،
- أو يصبح منافقًا معلوم النفاق، مغموسًا في النفاق والعياذ بالله.

نعود إلى سورة العنكبوت التي ذُكِر فيها النفاق، سورة العنكبوت تكلمت عن قضايا كثيرة من أهمها

## الأوهام الخاطئة التي يظنها بعض الناس

أخطر وهْم هو أن يعتقد المؤمن أن الإيمان مجرد كلمة: " أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ " إذا ظننت أن الإيمان مجرد كلام حينها نخاف عليك من النفاق،

لماذا؟ لأنك لن تبذل،

والنفاق أساسًا مبني على فكر المصلحة –عدم البذل– أي أن النفاق ليس عقيدة.. الكفر عقيدة ضالة، والإيمان عقيدة صحيحة، أما النفاق فمصالح.. المنافق لا فرق عنده بينهما وإن هلكا جميعًا لا يهمه الأمر، أهم شيء مصلحته الشخصية.

الكافر يموت وهو يدافع عن الكفر، أما المنافق فحاله مختلف، مهما كانت النتيجة هو مع الطرف المنتصر.

مثل الشخص الذي يملك قمصان جميع فرق كرة القدم وليس فريقًا واحدا فقط، ينتظر النتيجة ثم يرتدي قميص الفريق الفائز، إذا فاز فلان يقول أنا معه اليوم، ويشجع الرابح دائمًا.

سورة العنكبوت تخبرنا أن من بين الأوهام الخاطئة اعتقاد أن الإيمان مجرد كلام هذه نقطة.

النقطة الثانية: " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ " مساواة الخالق بالمخلوق هذه بدايات الدخول في النفاق.

النفاق هو معاملة الناس أكثر من معاملة الله. كلمة منافق أو مُرائي تعني أنه منشغل بالناس، ومنشغل بنظر الناس إليه، يحب أن يُظهِر عمله للناس ليروه، فكلمة مراءٍ تدل على أنه منشغل بالناس.

لذلك سورة المنافقون تتكلم كلها عن المنافقين، ثم يأتي في آخر مقطع: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ " هل السياق يتحدث عن المنافقين أم عن أهل الإيمان؟!! بل عن أهل الإيمان؛ إذًا هذا تحذير فانتبه...

أهل الايمان من الممكن أن ينتقلوا إلى النفاق، وأول دركة في النزول لمستنقع النفاق هي الانشغال بالأموال والأولاد عن دين الله عز وجل.

إذاً الانتقال وارد حدوثه والعياذ بالله. " وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا " نستنتج من هذا أن الإنسان من المحتمل أن يكون مؤمنًا ثم يتحول تدريجيًا وينزل في دركات النفاق.

هذا أحد أوجه تعليل ذكر النفاق في سورة مكية وهو تحذير الإنسان من طريقة تفكير المنافق.

قلنا إن المنافق يحرص دائمًا على العيش في الخفاء، أن يعيش في الظلام ولا يُكشف أمره. لأنه إذا انكشف للناس فسيحذرون منه ويحاسبونه، وهو لا يهمه في صفٍّ من يقف، المهم عنده أن تكون مصالحه تسير على مايرام، سواء كان الحكم لليهود، أو لكفار أو وثنيين، أو يكون للمسلمين، المهم أن تُقضى مصالحه!

نبتة النفاق تَنبت بأمرين:

- أن تظن أن الإيمان مجرد كلام " أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ " الذي يعتقد أن الإيمان أقوال فقط بلا أفعال؛
- والنبتة الثانية: أن ينشغل بالأموال والأولاد " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ "،

وجماع الأمرين في مساواة الخالق بالمخلوق: " تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ " لا نتمادى بجعلكم في مقام أعلى إنما نسويكم برب العالمين.

مسألة النفاق تظهر عند القتال والتضحية،

وأكثر السور التي ذُكِر فيها النفاق ذُكِر فيها القتال.. بل المواضع التي ذكر فيها النفاق في سورة النساء كان السياق فيها يتحدث عن القتال تحديدًا، وإن وُجدت مواضع أخرى في سورة النساء تتكلم حول العدل والتحاكم إلى الشرع ذكِر فيها النفاق مثل ما ذكرنا.. أي أن النفاق ذُكِر في سورة النساء في أكثر من موضع من أهمها الكلام عن القتال: " وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ " في سورة النساء هنا وصف للمنافقين في القتال.

" فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ " هنالك طائفة تراجعت وقت القتال، مثل عبدالله بن أبي بن سلول –وقت خروج الجيش في غزوة أُحُد للحرب–تولى عائدًا بثلث الجيش ورجع بهم إلى المدينة، فالصحابة اختلفوا في أمر هؤلاء الذين أدبروا هل هم منافقون أم لا؟! فربنا سبحانه وتعالى يقول لهم كيف تختلفون في موقف كهذا فهؤلاء طبعًا منافقون؛ " فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا "

أي أتريدون أن تجعلوهم مهتدين وهم ضالون؟ كلا، هؤلاء ظهروا في هذه اللحظة.

وهذه نقطة مهمة جدًا، بالرغم من كون هذه الرؤية واضحة إلا أنها لا تُرى من قِبَل كل الناس، فلا يراها سوى أهل الإيمان،

لذلك ربنا سبحانه وتعالى يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: " وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ " أي أنت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من اقترب من سنّتك صلى الله عليه وسلم..

المشكلة أحيانا لا تكون في ظهور الشيء بل في الرؤية: " وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " ربنا عز وجل هو الذي أراه وليس هو من رأى بنفسه عليه الصلاة والسلام، وإلا فملكوت السموات والأرض أمام كل الناس،

فلمَ سيدنا إبراهيم في هذه اللحظة كان من الموقنين؟ " وَكَذَٰلِكَ نُرِي " لأن الله عز وجل هو الذي بَصَّره، ألست تقول: اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه؟ هل من الممكن أن يرى أحدهم الحق باطلًا! نعم، بالرغم من أنه حق واضح لكنه قد يراه باطلًا.

لذلك قالوا: "كلما استزاد الإنسان من النوافل كلما رأى المنافقين".

- ما الدليل على ذلك؟
- " وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِر به"[٣]

والله يبصر المنافقين، فعندها سيرى المؤمن المنافقين لأنه اقترب من المعيّة الإلهية فيرى بنور من الله.

إذًا الأفعال التي تظهر من أهل النفاق ليس بالضرورة بما أنها قد ظهرت فسيعرفها كل الناس. كلا، بل سيعرفها الذي ارتبط بكتاب الله لأن هذه الأوصاف مذكورة في كتاب الله.

## متى يظهر النفاق واضحًا جليًّا؟

[٣] الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري

قول الله عز وجل في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) [محمد: ٢٩].

(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ): شعبةٌ من شعب النفاق، ودركةٌ من دركات النفاق.

فالله عز وجل يقول أن الذين في قلوبهم مرض، الذين يكرهون المسلمين ويكرهون انتصار الإسلام، يشعرون بحقد وغل على المسلمين، وأخبار انتصار المسلمين دائمًا تضايقهم، وأخبار أبطال المسلمين وعلماء أهل الإسلام –وخاصةً من كان في القرون الأولى– ذِكر أسماء هؤلاء يضايقهم ويغضبهم جدًا، فإذا حدثتهم عن أبطال سواء من الصحابة أو من التابعين أو حتى من بعدهم كصلاح الدين، ذِكر هؤلاء الأبطال يضايقهم جدًا لأن فيه عزًّا للإسلام.

فالله سبحانه وتعالى يقول: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ)؛ المرض أين يوجد؟ في القلب، ولكن كيف يراه المؤمن، مَن الذي يَطَّلع على القلوب؟ الله، فكيف سيعرف المؤمن المنافق؟؟ انظر كيف سيعرف..

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ) إذًا المرض سيبدأ يخرج من القلب ويظهر على الجوارح الخارجية، فيقول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) [محمد: ٣٠]؛ هذه الآية لها أكثر من تفسير أو تأويل، فمن المعاني المذكورة في الآية:

لو أراد الله أن يجعل للمنافقين علامات –سيما: أي علامة– فكل من يراهم يعرفهم بهذه العلامة لفعل، بمعنى أنه كان من الممكن أن يجعل الله على المنافق وسمًا –السيما تأتي من كلمة وسم– أي علامة واضحة، أن كل الناس عندما تراه تقول هذا هو المنافق كما يُكتب على جبين الدجال كلمة (كافر كفر) يقرأها كل مؤمن، فيجعل الله وسم (علامة) على الدجال لكن أهل الإيمان فقط من يستطيعون قراءتها.

## لماذا لم يجعل الله علي وجه المنافق علامة يعرف بها ؟

كان ممكنًا أن يجعل الله على وجه المنافقين علامة لا يراها سوى أهل الإيمان فقط، فهو القادر –سبحانه وتعالى– (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) [محمد: ٣٠] لكن هذا خلاف سُنَّة الله بالابتلاء في الدنيا. سُنَّة الله في الابتلاء في الدنيا و أن العاقبة والنتيجة في الآخرة، فإذا حدث هذا كان سيعني مخالفة للسُنَّة العامة.

بعض الناس قد يصنع الله فيهم هذا، كيف؟ أن يمسخهم الله مثلا قردة وخنازير –والعياذ بالله– هذه علامة واضحة، فأنت عندما ترى إنسانًا كان بني آدم ومُسخ قردًا؛ هذه علامة، ولن تشك أن هذا مجرم وفاجر –والعياذ بالله–، وهذا حدث في الأمم السابقة ويحدث في آخر الزمان، لكن الله لم يُرد هذا على العموم.

إذًا ماذا أراد الله؟

## كيف أعرفهم؟

(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) [محمد: ٣٠]، (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) نعم هذا هو ما نريده، هذا ما نتحدث بشأنه اليوم، كيف أعرفهم؟ (فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)

أولًا: الله يملك ألسنتهم، الله يملك قلوبهم، الله يملك نواصيهم، يُجبر ألسنتهم على الكلام بما يعترفون به على أنفسهم، الله يقهر الألسنة أن تتكلم بكلام يُفضحوا به، وكما قال عثمان ابن عفان رضي الله عنه: (ما أسرَّ عبد سريرة إلا أظهرها الله – عزوجل – على فلتات لسانه وصفحات وجهه).

((كاد المريب أن يقول خذوني))

يظهر عليه كثرة الكذب، يظهر عليه أنه كذاب

(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)، وختام الآية (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) [محمد: ٣٠] يعلم الله أعمال المنافقين وقادر على أن يفضحهم، ولكن كيف ستظهر في لحن القول ، هل وهُم يسيرون سيتكلمون بكلام؟ الآية التي تليها ستوضح لك..

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) [محمد: ٣١]،

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) إذًا؛ كيف يظهر المنافقون؟ ابتلاءات من الله فيتكلمون بكلمات فتُفتضح أمورهم، فقط ابتلاءات من الله يُقدِّرها فيتكلمون بكلام يفضحهم أو أفعال تفضحهم!

وهذا الابتلاء قد يكون ابتلاءً قدريًّا وقد يكون ابتلاءً شرعيًّا، ما معنى ابتلاءٌ شرعيٌّ؟ أي: أمر من أوامر الله، أننا يجب أن نفعل أمرًا معينًا، فعندما نقول: مادام الله أمرنا بهذا فهيا نفعله، تجده يقول: لا لن أفعل.

هناك أمور حثَّ عليها القرآن، وعندما تَهِموا لتطبيقها والعمل بها، ويأتي بعض الناس يقولون لا نريد فعل هذا، فيكون هذا اسمه منافقًا، الذي يرفض أمورًا معينةً في الشريعة عندما يجتمع عليها أهل الإيمان ويبادروا بتطبيقها؛ الذي يرفض في هذه اللحظة اسمه منافق..

(وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ () وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ..) [محمد: ٣٠-٣١]؛ أي يظهر للناس، أو العلم الذى ينبني عليه الحساب والجزاء.. (حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) [محمد: ٣١]؛ أخبارك ستظهر وتظهر للناس.

ما هي هذه المواقف؟ هناك مواقف معينة جاء الحديث عنها في القرآن –سواء لفظًا أو معنىً– أن أهل الإيمان يرون المنافق رؤية واضحة، رغم قولنا أن المنافق ماذا؟ لا يظهر، المنافق يعيش في الظلام، المنافق يعيش في النفق، المنافق يحرص على الهدوء والسكون حتى لا ينكشف أمره، أي أن المنافق يحرص على أن أموره لا تُكشَف.. ولكن متى يُستفز المنافق ليتكلم فيُفتضح؟

المنافق دائمًا يحرص على أن يتكلم كلامًا قليلًا، لأنه كلما أكثر من الكلام كلما أخطأ فيُعرف أنه منافق... لذلك؛ المنافق يحرص عندما يرى أهل الإيمان (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا) [آل عمران: ١١٩]، عندما يراك يقول (أنا مؤمن) لأنه خائف، يشعر أنه يفعل شيئًا خطأً، فعندما يرى أهل الإيمان يبادر بالقول أنا مؤمن، ومن كثرة قوله (أنا مؤمن) تشك فيه فهو يعلم أنه مخطئ.

## المواقف التي قد تحدث فيظهر بها المنافق

إذًا ما هي هذه المواقف –وهذا يحتاج لاستقراء للقرآن والسُّنَّة– ما هي المواقف التي قد تحدث فيظهر بها المنافق؟

١– حينما يُطلب من كل الناس التحاكم إلى شرع الله عز وجل، فتظهر طائفة من الناس تقول (لا، لا نريد) ما الدليل؟

في سورة النساء قول الله عز وجل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ..) [النساء: ٦١] (رَأَيْتَ) انتبه من كلمة (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ) كلمة (النفاق) يعني نفقًا، يعني ظلامًا، عكس كلمة (رأيت) فمعنى أنك رأيت النفاق أنه بدأ يظهر على حقيقته.. رأيت ماذا؟ (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) ماذا يقول؟ يقول: لا، الشرع لا يصلُح للتطبيق، الشرع لا يصلح لهذا الزمان ،هذه كانت فترة وانتهت ولا يصلح تطبيقه الآن، والأحاديث كلها يجب أن تُحرق! فهنا المنافق يظهر على حقيقته عندما يُطلب منه التحاكم إلى الشرع يقول (لا، لا أريد شرعًا).. يرفض.

هناك فرق بين تحرير مراد الله في مسألة وبين الرفض العام، هذا قطعًا منافق (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ)...على قدر المستطاع نريد أن نلتزم بلفظ الآية حتى يكون هذا تدريب على أنك أثناء قراءة القرآن تتعلم، وقد قلنا أن القرآن يهتم بذكر الأوصاف والأفعال، والله –عز وجل– قال: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ)، فالآية السابقة مبنية على شرط (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) –فأحيانًا يشاء الله وأحيانًا لا يشاء–،

فالسابقة معلقة بالمشيئة (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) فهناك احتمالٌ أن يضع الله عليهم علامة (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ)

أما الآية الثانية ستحدث ستحدث (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) قَسَم (فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)... بعض العلماء حاول تجميع معنى كلمة (لحن القول)، فبعضهم قال: لحن القول أي كثرة الأعذار الكاذبة، وبعضهم قال: لحن القول أي الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضهم قال: لحن القول أي الحزن حينما ينتصر المسلمون. وهذا الكلام عن لحن القول أشبه بالتجميع التي نحاول عَمله عن متى يظهر المنافقون على حقيقتهم أمام الناس.

إذًا التحاكم إلى شرع الله، قال الله عز وجل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) [النساء: ٦١].

والعجيب أنك عندما تقوم بتجميع أسماء السور التي ذُكر فيها النفاق، وتنظر ما هي أكثر الموضوعات التي تحدثت عنها السور، تعرف أن هذه الموضوعات عندما تأتي يظهر النفاق.

مثال: عندما تنظر في سورة النساء تأتي موضوعات العدل والتحاكم إلى الشرع، وفي سورة المائدة تأتي موضوعات الولاء والبراء وموالاة أهل الإيمان والبراء من الكفار والبراء من اليهود والنصارى، سورة محمد اسمها سورة القتال، سورة النور يأتي الحديث فيها عن البعد عن الفاحشة، وفي سورة الأحزاب حينما يُبتلى أهل الإسلام ابتلاءً شديدًا.

عندما تنظر إلى كل سورة من هذه السور تجد فيها موقفًا جليًّا، هذا الموقف عندما يحدث يظهر المنافق على الفور.

مثلًا: قم بحملة عن منع الفواحش ومنع الأفلام الإباحية ومنع الصور السيئة التي تظهر فيها عورات النساء في الشوارع، وأغلاق كل المنافذ التي تُعرض فيها الأفلام الإباحية، فورًا ستجد أُناسًا ضد هذه الحملة، من هؤلاء؟ المنافقين.

في سورة النور الحديث عن البعد عن الفاحشة، والكلام فيها على أهل النفاق يعطيك اختبارات سهلة وواضحة، وأنت لا تُنفذها لكي تختبرهم أو لأنك تشك بهم؛ فهو يظهر تلقائيا.

وهناك لفظ آخر في القرآن –ليس فقط (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ)– يقول الله عز وجل : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ) [المائدة: ٥٢]؛ هو ليس فقط يظهر، بل يجري! بالرغم من أن النفاق يجعله دائمًا يستخفي ويعيش في نفق ولكنه هنا لا يستطيع تمالك نفسه.

كما تحدثنا في سورة التوبة عندما قال الله عن بعض المتخلفين عن الغزو: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) [التوبة: ٨٧]، تقول له: ستجلس مع النساء والأطفال؟! يقول: نعم، تقول له: تريد أن تقعد مع الأطفال الصغار والنساء؟ يقول: نعم أنا راضٍ!

فهو لم يعد يتمالك نفسه، وخاصة عندما تحدث ابتلاءات معينة سواء شرعيةً أو قدريةً.

لأننا قلنا أن النفاق ليس قرارًا، فقد يبتعد الإنسان عن الإيمان...

اللهم استرنا واعف عنا وثبتنا.

عندما تقرأ سورة التوبة، وهي من أكثر السور التي تكلمت عن وصف المنافقين، متى بدأ الكلام عن صفات المنافقين في سورة التوبة؟

بدأ بعد آيةٍ عندما ذُكرَت انفرط عقد النفاق، وذُكِرت كل أوصاف النفاق. ما هي؟

- حال المنافقين عند القتال

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة: ٤١]، انفروا: يُطلَب منك أن تتحرك أن تنفر للقتال، وأول ما طُلِب منهم النفير بدأت الأوصاف تظهر {لو كان عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ} [التوبة: ٤٢]، {ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي} [التوبة: ٤٩]، بدأت أوصاف النفاق تظهر.

{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ} [التوبة: ٤٥]، أرجوك اتركني، أنا خائف من الفتنة، أنا لا أستطيع القتال، {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} [آل عمران: ١٦٧]، عندما يُطلَب منهم القتال. لذلك يقول الله –عز وجل– في سورة محمد صلى الله عليه وسلم أيضًا بتعبير كلمة "رأيت": {فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [محمد: ٢٠]، في قلوبهم مرض، هذا

داخل القلب، فكيف أراه؟! هو عندما يُذكر القتال لا يتمالك نفسه فيظهر، فالله –عز وجل– يقول: {رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} [محمد:٢٠-٢١]، الذي في قلبه مرض يظهر عند هذه المواقف.

قلنا: رقم واحد التحاكم إلى شرع الله.

رقم اثنين القتال والبذل للتضحية، عندما يطلب منه البذل: {قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا} [التوبة:١٦٧]، يقول (لا نعلم): {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} [آل عمران:١٦٧]، فدائمًا المنافق يظهر في هذه اللحظات، والعجيب أنه ليس فقط يرفض البذل عند القتال والتضحية، لا، هو يخفُت عند القتال ويظهر عند الغنيمة.

- إدعاء المنافقين للأعذار وتناقض حالهم عند القتال أو الهزيمة منه عند النصر

في سورة الفتح بعد سورة محمد آيتان تعجبت عندما قرأتهما: {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ} [الفتح:١١]، عمَّ تخلفوا؟ عن القتال، لماذا؟ {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا} [الفتح:١١]، (والله كنت مشغولاً، والله العظيم لم يكن عندي وقت، والله لو كنت فارغًا لأتيت)، {شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} [الفتح:١١]، بعدها: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ} [الفتح:١٥]، هم نفس المنافقين، {إِذَا انْطَلَقْتُمْ} [الفتح:١١]، إلى أين؟ {إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا} [الفتح:١١]، فماذا كان قولهم؟ {ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ} [الفتح:١١]، ألم تكن مشغولًا؟! (لا أنهيت عملي وتفرغت)، في أي ساعة؟ في ساعة الغنيمة يتفرغ!!! أما في ساعة القتال يكون مشغولًا، {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا} عَرَض فيه مغنم {لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ} [التوبة:٤٢]، فيقول: (والله لو علمت لجئت، والله لو كنت أستطيع لأتيت لكن والله الانشغال).

لذلك كثرة الأعذار سبب لأن يخشى الإنسان على نفسه من النفاق، تعرفون كتاب (ألف سُنة وسُنة)؟ كذلك هناك من يقدر أن يؤلف كتاب (ألف عذر وعذر)! عنده المقدرة كلما طلبت منه شيئًا يُقدم لك أعذارًا، اعمل كذا! لا لأن...، احفظ! لا لأن...، هو لا يريد، أعذار كثيرة متتالية {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} [الأحزاب: ١٣] أنا خائف من الفتنة {ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي} [التوبة:٤٩]،

{شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا} [الفتح:١١]، الحرارة مرتفعة {لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} [التوبة:٨١]، أعذار كثيرة يقدمها حتى لا يبذل، لكن وقت الغنيمة يتفرغ.

لذلك أيضًا في سورة النساء: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} [النساء:٧٢]، عند الهزيمة يقول: الحمد لله لم أذهب معهم، {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا} [النساء:٧٢]، {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُم فَأَفوزَ فَوزًا عَظيمًا} [النساء:٧٢]، قال بعض المفسرين: كأنك لا تعرفه ولا يعرفك، ولم تخبره بموعد القتال وهو لم يعلم، وعندما ينتهي القتال يقول: ليتني كنت معهم، لمَ لمْ تخبروني؟! أنت تعلم بخروجنا وتعلم الموعد والمكان وتعلم كل شيء، فالأمر عنده يختلف حسب هل هناك غنيمة أم لا؟ لذلك قُلنا: ((من العبادة على الحرف القتال في الطرف)) يوم الخروج للقتال يقف على الحافة، إن انتصروا يهجم، وإن غُلبوا يعود من حيث أتى.

قلنا إن المواقف التي يظهر فيها المنافق على حقيقته، ويتكلم بكلام يُضاد به شرع الله عزَّ وجل:

١- التحاكم إلى شرع الله

٢- القتال والبذل والتضحية

ولكن قد يكون المسلم إيمانه ضعيف، ولكنه يندم، مثل الثلاثة الذين خُلِّفوا ندموا وتابوا وقَبِل الله توبتهم، وأنزل الله عزَّ وجل توبتهم، ورفع الله عزَّ وجل درجاتهم، لكن هناك فارقًا بين من كلما دُعي إلى التحاكم صدَّ عن سبيل الله، كلما طُلِب منه البذل أعرض، هذا شخص لا يوقِن بهذا الطريق.. وبين من يرتكب خطأ فيتوب ويندم.

- من شعب النفاق التي يجب على المسلم أن يحذرها

لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال إنه قد يكون شخص فيه شعبة من شعب النفاق: منها أنه لا يُفكر في القتال، انظر إلى الارتباط بين القتال والنفاق! قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن ماتَ ولم يغزُ ولم يحدِّث نَفسَهُ بالغَزوِ ماتَ علَى شُعبةٍ من نفاقٍ"[١]، عدم التفكير في العمل للدين، أي لا يخطر على باله سؤال ما الذي أستطيع عمله للدين؟ معنى ألا يفكر في هذا

١- مسلم (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم ١٩١٠ • صحيح •

السؤال، أو يُحدِّث نفسه بالغزو، يتمنى أن يجاهد في سبيل الله، غياب هذه المشاعر خطر، هذا شعبة من شُعَب النفاق، تمامًا مثل:"إذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ".[٢]، هذه شعبة من شُعَب النفاق، عندما تتراكم على الإنسان مع البُعد عن القرآن؛ مع الإغراق في المعاصي ذلك يؤدي للانتقال إلى منطقة وسط {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} [آل عمران:١٦٧]، يبدأ ينتقل بعيدًا عن الإيمان والعياذُ بالله.

- حال المنافقين مع المؤمنين وقت ابتلائهم

أيضًا من المواقف التي يظهر فيها أهل النفاق ويتبجحون بكلماتهم بعد أن كانوا يخفونها، حينما يمر أهل الإيمان بابتلاء شديد، كلمات النفاق تخفُت مع انتصار الإسلام، وتظهر مع هزيمة أهل الإسلام، حينها يُبتلَى أهل الإيمان ابتلاءات معينة شديدة، من هزيمة أو تسليط للأعداء عليهم، بسبب بعدهم عن دين الله عزَّ وجل. هنا الذي كان ملتزمًا الصمت، والذي كان يبدأ كلامه بقول: (بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله)، وعندما يرى أهل الإيمان يقول: (والله العظيم أنا مؤمن)، والذي يقول: (أنا كنت في المسجد أفعل كذا)، هذا الكلام يظهر على حقيقته عندما يُبتلى أهل الإيمان بابتلاء؛ لأنه لم يعد في حاجة لأن ينافق أهل الإيمان، بدأ ينتقل للجبهة الأخرى.

ذكر الله عزَّ وجل في سورة الأحزاب، انظر معي ماذا تقول الآية تحديدًا، نحن قُلنا نريد الالتزام بلفظ الآية. يقول الله عزَّ وجل: {هُنالِكَ ابتُلِيَ المُؤمِنونَ وَزُلزِلوا زِلزالًا شَديدًا} [الأحزاب:١١]، الآية التالية مباشرةً: {وَإِذ يَقولُ المُنافِقونَ} [الأحزاب:١٢] متى بدأ المنافق يتكلم؟ لما ابتُلي أهل الإيمان، فيقول لك: (لا؛ أنا لست معكم)، ألم تكن معنا؟! (لا؛ أنا خُدعت، أنتم خدعتموني) {وَإِذ يَقولُ المُنافِقونَ وَالَّذينَ في قُلوبِهِم مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسولُهُ إِلّا غُرورًا * وَإِذ قالَت طائِفَةٌ مِنهُم يا أَهلَ يَثرِبَ لا مُقامَ لَكُم فَارجِعوا وَيَستَأذِنُ فَريقٌ} [الأحزاب:١٢-١٣].

---

٢- عن أبي هريرة: أَرْبَعٌ مَن كُنَّ فيه كانَ مُنافِقًا خالِصًا، ومَن كانَتْ فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حتَّى يَدَعَها :إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ.
البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٣٤ •صحيح • أخرجه البخاري (٢٤٥٩) واللفظ له، ومسلم (٥٨) •

انظر للطوائف التي ظهرت، أين كنتم؟ ماذا حدث؟! عندما ضُيق الأمر، عندما اجتمع أهل الكفر على أهل الإسلام، هنا يُغربَل الصف من النفاق، يظهرون في تلك المواقف، هذه الزلزلة مثل شجرة فيها أوراق خبيثة ضعيفة فاسدة تسقط مع الزلزلة.

- أحد حكم ابتلاء المؤمنين

وهذه من أهم حِكَم ابتلاء أهل الإيمان: تنقية الصف {وَتِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَينَ النّاسِ} [آل عمران:١٤٠] لِمَ المداولة؟ أي لمَ ينتصر أهل الكفر على أهل الإيمان مرَّةً وينتصر أهل الإيمان مرَّةً أخرى؟ لمَ المداولة؟ {وَتِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَينَ النّاسِ وَلِيَعلَمَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا وَيَتَّخِذَ مِنكُم شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا} [آل عمران:١٤٠-١٤١]، قيل: يُمحصهم من أهل النفاق، يُميّزهم من المنافقين {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ –ينفصل– الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران:١٧٩] كيف يسقط الخبيث؟ بهذه الابتلاءات.

إذًا في ظروف البلاء الشديد، في الهجمة الشرسة على الإسلام وكل الناس متحزبون على الإسلام، تجده ينافقهم، تجد كل ما في الجُعبة يخرج: طَعْن في السنة، طَعْن في القرآن، طَعْن في الصحابة، كل هذا لا يظهر إلا عندما تَخفُت دولة الإسلام، والغلبة تَخفُت وتنتقل إلى غير أهل الإسلام، تجد كل ما في جُعبته يظهر ويتكلم.

أريدك أن تقرأ الآية مرة أخرى {هُنالِكَ ابتُلِيَ المُؤمِنونَ وَزُلزِلوا زِلزالًا شَديدًا} {وَإِذ يَقولُ} مباشرةً؛ فلم ينتظر حتى مرور الأزمة، أو عندما ينظر في الظروف، لا؛ هذه هي فرصته أن يتكلم الآن، بل بالعكس يعمل معهم أيضًا، مثل الآية في نفس السورة {وَلَو دُخِلَت عَلَيهِم مِن أَقطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الفِتنَةَ لَآتَوها} [الأحزاب:١٤] من معاني الآية: أي لو دُخِلَ عليهم في المدينة وطُلِب منه أن يكفر أو طُلِب منه أن يشارك الكفار أو يعمل معهم، يقول: (وما المانع؟! أنا معكم)، انتقال! كان في صف الإيمان منذ قليل وكان معهم في حفر الخندق، فجأة انتقل، وظهرت طوائف مختلفة؛ لذلك بعضهم قال: {ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسولُهُ إِلّا غُرورًا} [الأحزاب:١٢]، ومنهم من قال: {يا أَهلَ يَثرِبَ لا مُقامَ لَكُم فَارجِعوا} [الأحزاب:١٣]، ومنهم من قال: {إِنَّ بُيوتَنا عَورَةٌ} [الأحزاب:١٣]

انقسموا إلى فرق وطوائف: {وَإِذ قالَت طائِفَةٌ مِنهُم}، {وَيَستَأذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ} طوائف وفِرق على حسب الإيغال في النفاق.

إذًا من المواقف التي تُظهر، وترى بعينيك المنافق صريحًا حينما يمُر أهل الإيمان وأهل الإسلام ببلاء شديد، حينما يتحزب عليهم أهل الكفر، تظهر هنا الكلمات، يظهر على حقيقته، فيذهب إلى الكافر ويقول: (ألم نكن معكم)! {أَلَم نَستَحوِذ عَلَيكُم وَنَمنَعكُم مِنَ المُؤمِنينَ} [النساء:١٤١]، (ألم أفعل لك كذا وكذا! أنا أعمل معك من الآن)، وإذا انتصر المؤمنون يقول: (لا؛ هل تعتقد أني كنت في صف الكفار؟!) {إِن أَرَدنا إِلّا إِحسانًا وَتَوفيقًا} [النساء: ٦٢] (أنا ذهبت من أجلكم وليس من أجلي، مجرد محاولة للإصلاح).

لذلك عندما قيل في سورة البقرة: {إِنَّما نَحنُ مُصلِحونَ} [البقرة:١١]، وفي سورة النساء: {إِن أَرَدنا إِلّا إِحسانًا وَتَوفيقًا} [النساء:٦٢]، بعض المفسرين قالوا: ما معنى أن يقول أهل النفاق ذلك؟ عندما كان أهل الإيمان يسألونهم لماذا تجلسون مع اليهود والنصارى؟ فيقولون: (لا؛ نحن نفعل ذلك لنصلح بينكم، حتى لا تكون هناك عداوة بين أهل الكتاب وأهل الإيمان، نحن جسر نربط بينكم {إِن أَرَدنا إِلّا إِحسانًا وَتَوفيقًا}، نريد التوفيق بينكم {إِنَّما نَحنُ مُصلِحونَ}، نريد الإصلاح بينكم فقط).

## متى يقول ذلك؟

حينما ينتصر أهل الإيمان ويحاسبونه (أنت كنت تقول كذا؟) يقول: (لا، إني معكم، وفعلت ذلك من أجلكم)، كأن يقول ابن سلول: (أنا عدت بثلث الجيش من أجلك لأختبر ثبات من معك، وأرى هل يثبتون أم ينتكسون؟). قد يقول ذلك ويصدقه من معه من المنافقين.

إذًا في مواقف الابتلاء الشديد يظهر أهل النفاق على حقيقتهم ويتكلمون بكلام يفضحهم.

من المواقف التي تُظهر أهل النفاق ويتكلمون فيها بكلام يفضحهم؛ قضية الولاء والبراء، وهي ترتبط أيضًا بنفس الفكرة.. سواء القتال أو البلاء. حينما تدور الدولة، أي: الغلبة؛ (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا) [آل عمران: ١٤٠]، أي أن الغلبة تكون لقوم في فترة ثم تنتقل، فحينما تكون الدولة والغلبة لليهود والنصارى؛ يقول الله عز وجل: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) [المائدة:٥٢]، فهنا لم يقل: (يسارعون إليهم)، تفكَّر في تعبير القرآن.. ألفاظ القرآن الكريم معجزة –سبحان الله– وما نحن فيه من الظُّلمة والتيه ليس لسبب سوى بُعدنا عن كتاب الله سبحانه وتعالى.

(فَتَرَى) ستراهم بعد أن كانوا متخفيين. تأكيد لنفس الفكرة، (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) الطبيعي أننا نعجز عن رؤية المرض الذي في القلب، لأن المرض موجود في القلب؛ ونعجز عن رؤية القلب نفسه. فيُقَدّر الله مواقف فيظهر هذا النفاق واضحًا على الوجه وفي الكلام وعلى جميع الجوارح.

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) [محمد:٣١]؛ هذا البلاء حينما يأتي؛ تظهر أشياء يعرف بها أهلُ الإيمان أهلَ النفاق، فيقول الله عز وجل: (فَتَرَى) في آيات الموالاة والمعاداة والولاء والبراء في سورة المائدة يقول الله عز وجل: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) [المائدة:٥٢] ؛ (فيهم وليس (إليهم).. فإذا قال (إليهم): فكأنه كان مع أهل الإيمان، وهذه الأزمة جعلته يترك أهل الإيمان لينتقل إليهم، ولكنه منذ البداية كان معهم –في صفوف اليهود والنصارى– ولكنه يعيش في صف أهل الإيمان.

فكلمة (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ): تعني أنه كان وسطهم، ويريد أن يوغل في صفوفهم أكثر وأكثر.

عقيدة المنافق قائمة على الحسابات والمصالح؛ ليست على عقيدة ثابتة. بخلاف المؤمن؛ إن هُزِم في معركة؛ يُقاتل في المعركة التالية على نفس العقيدة الثابتة، فلا يقول: هُزمنا بسبب عقيدتنا، فلنُجرّب عقيدة أخرى! أما المنافق إذا هزم فيقول: لنجرب المراءاة، يا ليتني كنت مع الفائزين ويتنقل بين الحالتين.

*في قول الله عز وجل الذي ورد فيه رؤية المنافقين:*

بالرغم من أن المنافق يعيش في الأنفاق ويعيش في الظلام، لكن بعض الألفاظ ذُكرت في القرآن عن إمكانية رؤيته، فقال الله عز وجل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ) [المنافقون: ٥]، فهنا يُطلب منه الخضوع لسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وتوقيره، ففي حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان يُطلب منه الذهاب إليه، وبعد موته صلى الله عليه وسلم يُطلب منه أن يخضع لسنته، وأن يقرَّ بها ويعترف به، فنجد أن من علامات النفاق الطعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

## شتان بين هذا وذاك

فارق بين عالم مجتهد ينتقد حديثًا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم –حتى ولو في الصحيح– بسبب مقدمات علمية فيصل إلى نتيجة، قد يكون مخطئًا متأولاً، وفارق بين الإنكار الكلي.. كأن يقول: (لا يوجد ما يسمى بالبخاري ومسلم، ولنحرقهم)! فهذا طعن كلي في القرآن والسنة، وهو من علامات النفاق القطعية كما ذكرنا سابقًا.

فإذا ألغيت البخاري ومسلم فلم يعد هناك دين! لأنك تلغي أصح الكتب في السنة، ماذا يتبقى إذًا؟!!

ثم إنه لم يقتصر على الطعن في أسانيد أو كتب بعينها أو في بعض كتب السنن؛ فلا يقول مثلًا: (إن سنن ابن ماجه بها بعض الأحاديث الضعيفة) بل يطعن في كل صحيح البخاري ومسلم. فهذا من علامات النفاق، لذا قال الله عز وجل: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) [المنافقون:٥].. (ورأيتهم).. تكرر نفس التعبير.. الرؤية.

فعندما يُطلب منه أن يتحاكم إلى السنة، وأن يخضع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ يرفض وينكر السنة بأكملها إنكارًا تامًا.

أكرر..

هناك فارق كبير بين نقد حديث بمقدمات علمية –يعرفها أهل الاختصاص بكلامهم ومصطلحاتهم– وبين الإنكار العام المجمل لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

أيضًا يظهر المنافقون –وإن كان الأمر يحتاج إلى استقراء كامل للقرآن والسنة– في قول الله –عز وجل– في سورة المائدة:

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [المائدة: ٤١]

(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ): أيام النبي –صلى الله عليه وسلم– كان هناك أناس مؤمنون ثم فجأة لم تنتقل بل بدأت تجري وتهرول (يُسَارِعُونَ)... (يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) أي أنه كان يُظهر الإيمان قبل هذا الموقف، وبعده حدث موقف آخر جعله ينطلق ويجري بعيدًا عن الإيمان. ما هو الموقف إذًا؟

نزلت هذه الآية في حكم حد الزنا –وهو رجم الزاني– ومن قبلها حد السرقة والحرابة، ومن بعدها الحديث عن القصاص والحدود في القصاص، فهذه الأحكام تضايقهم وتغضبهم فلا يتحملونها ثم ينكرونها، ويسارعون بالبعد والإنكار.

إذًا هناك فارق بين شخص يستفهم وهو يطلب العلم، وآخر ينافح عن الضلال، فارق بين شخص يخطئ لأنه ضعيف الإيمان وما زال يتعلم، وآخر ينافح وينشئ برامج للصد عن سبيل الله، فيصد الناس عن سبيل الله وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تخيّل أن يكون الغرض الرئيسي من كلامه هو تحقير سنة النبي صلى الله عليه وسلم!

تخيّل أن يكون هناك برنامج كامل للطعن في الصحابة، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم!

أين تعظيم الله وتعظيم الشريعة وتعظيم الدار الآخرة؟

ولا يجري على لسانه مرة أهمية العمل لدين الله والخوف من الدار الآخرة!

عندما تقرأ القرآن تتعجب من الكم الكبير للآيات التي تحدثت عن تعظيم الدار الآخرة والخوف منها؛ ثلث القرآن!! إذًا ينبغي أن يكون ثلث كلامك حينما توجه الناس أن ينصب على هذا؛ الكلام عن العمل والبذل لدين الله، وأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، الكلام عن تعظيم الله وقدرته –سبحانه وتعالى– وأنه يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى. أين هذا الكلام؟

تخيّل أن يُخَصّص برنامجٌ للشبهات فقط! برنامج مخصص فقط للصد عن سبيل الله! هذا من علامات النفاق القطعية التي ذكرت في القرآن.

## أين نحن منهم

إذًا ينبغي على المؤمن أن يخاف على دينه. يقول ابن أبي مليكة في البخاري: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كلهم يخشى على نفسه من النفاق).

إذًا فالنفاق مسألة خطيرة جدًا.

يروى في الأثر عن سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنه كان يذهب إلى حذيفة يسأله: (أَوَسَمَّاني لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟) سيدنا عمر وهو المشهود له بالجنة!

سيدنا حذيفة كان صاحب سِرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يعلم المنافقين فيُخبر حذيفة –رضي الله عنه– بأسماء المنافقين؛ ولهذا سُمّي حذيفة بصاحب السر، ولم ينشر هذه الأسماء لاحتمال أن يعودوا إلى الإسلام، ولعدم حدوث فتنة بين المسلمين، الحفاظ على المسلمين من الفتنة، أو لسُنة الله العامة في البلاء.. لحِكَم كثيرة جدًا ذكرها العلماء.

وهناك رواية أخرى عجيبة جدًا: أن سيدنا عمر ذهب إلى سيدنا حذيفة وظل يصر عليه: "أوَسَمَّاني لك؟ أوَسَمَّاني لك؟"، فقال له: "لا، ولا أبرّئ أحدًا بعدك"، فجادت عينا عمر بالبكاء. بكى!

تخيل أنك تنتظر خبرًا منذ سنوات! تخيل أنك تنتظر نتيجة تحليل ورم وتريد أن تعرف إذا كان ورمًا سرطانيًا خبيثًا أم حميدًا؟ وكل يوم تتأجل النتيجة لليوم التالي، وأخيرًا يقال لك: (نتيجة التحليل جيدة... لا تقلق).

"فجادت عيناه بالبكاء"..

لم يقل له مثلًا: "هل أنا من المنافقين؟"، فيقول حذيفة: "لا"، فيقول عمر: "حسنًا! كنت أريد الاطمئنان فقط".. لا لم يحدث؛ بل جادت عيناه بالبكاء، وهو من أهل الإيمان والسبق والمشهود لهم بالجنة.

## رسالة

وختامًا نقول:

النفاق –في بعض الأوقات– قد لا يكون قرارًا، فالإنسان بالبعد عن بيئات الإيمان، والبعد عن الأعمال الصالحة؛ ينتقل ويبتعد عن الإيمان... والبعد عن الجمعة والجماعات.. كلها من أسباب الطبع على القلب ونعوذ بالله من ذلك.

وكذلك قلة الذكر، أداء الصلاة بتكاسل، الإنفاق وهو كاره، كل هذه عبادات ذكرت يقوم بها منافق.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ"[1] ؛ (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى) [النساء: ١٤٢]، وفي الإنفاق (وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ) [التوبة: ٥٤]. وفي القتال يقاتل في الأطراف، ويشترط شروطًا للقتال (وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ) [التوبة: ٨١]... كل هذه الأوصاف ذُكرت عن المنافقين.

نسأل الله –عز وجل– أن ينجّينا من النفاق، وأن يثبّتنا على الإيمان ويبعثنا عليه، وأن يجعلنا خالصين مخلصين له سبحانه وتعالى.

---

١- [عن العلاء بن عبدالرحمن:] أَنَّهُ دخلَ على أَنسِ بنِ مالِكٍ في دارِهِ بالبصرةِ حينَ انصرفَ منَ الظُّهرِ، ودارُهُ بجَنبِ المسجدِ، فقال: قوموا فصلُّوا العَصرَ، قالَ: فقُمنا فَصلَّينا، فلمّا انصَرفنا قالَ: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: تِلكَ صلاةُ المُنافقِ، يجلِسُ يرقُبُ الشَّمسَ حتّى إذا كانَت بينَ قرنَي الشَّيطانِ قامَ فنقرَ أربعًا لا يذكُرُ اللَّهَ فيها إلّا قليلًا/الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح الترمذي ١٦٠ • صحيح